«الآداب» والضرورة التاريخيّة

عبد الوهاب البياتي

بدأتْ معرفتي بالدكتور سهيل ادريس قبل سفره إلى باريس للدراسة. فقد كنتُ قد قرأتُ له بعض القصص القصيرة التي كان ينشرها في الصحف والمجلّات اللبنانيّة، أذكر منها الآن مجلّة **الأحد** التي كان يصدرها الصحفي والكاتب الرّاحل رياض طه. وكانت باريس التي سافر إليها للدراسة قد نفضتْ عن ردائها دمارَ الحرب-العالميّة الثانية، وكانت تعجّ بمختلف التيّارات الشّعريّة والرّوائيّة والفلسفيّة، وكان من أعلامها الكبار الفيلسوف والكاتب جان بول سارتر ورفيقته سيمون‌دو بوفوار وألبير كامو والشّاعر آراغون وسان جون بيرس وجاك بريفير والفنّان العظيم بيكاسو وسواهم من عمالقة الأدب والفلسفة والفنّ. وكان الحيّ اللاّتيني في تلك السنوات قلبَ باريس النابض بمقاهيه ومرابعه وملاهيه. وكانت الفلسفة الوجوديّة قد خلبت جيلَ الحرب الثانية وما تلاه من جيل جديد، حتّى إنَّ تأثيرها عَبَرَ القارّة الأوروبيّة إلى قارّات العالم الأخرى.

وممّا لا شكّ فيه أنَّ الدكتور سهيل ادريس الذي يرى ويسمع ويقرأ ويتحرّك وسط الخطوط المتقاطعة للحيّ اللاّتيني ولشارعيْ سان ميشيل وسان جرمان قد مسّ شغاف قلبه هذا الضوءُ السّاطع للتيّار الوجودي وسواه من التيّارات الأدبيّة، بخاصّة، في حقل الأدب والفنّ. وكان يختزن في ذاكرته تفاصيل رواية سيكتبها فيما بعد باسم **الحيّ اللاّتيني**. كما كان مشروع إصدار مجلّة **الآداب** قد اختمر في ذهنه، وهو مشروع ثقافي قومي إنساني هاجسه أن يقرّب ما بين الثقافة العربيّة التطليعيّة والثقافة الأوروبيّة الإنسانيّة الطالعة من محرقة الحرب والطامحة إلى مُثُلٍ إنسانيّة جديدة.

وكان مبدأ الالتزام غير المشروط أو الالتزام بشرط الكتابة (لأنَّ الكتابة إبداع والإبداع هو ثورة في الثورة) هو شعار تلك المجلّة الطالعة بهذا البيان أو بما يقترب منه. وصدرت **الآداب** في سنوات جنحت فيها مجلّة **الرسالة** و**الثقافة** في مصر، ومجلّة **الأديب** في لبنان، إلى هزيعها الأخير بعد أن هيّـأت الأجـواء لانتظـار مجلّـة جـديـدة والاحتفاء بها والالتفاف حولها.

في بادئ ذي بدء وجّه الدكتور سهيل

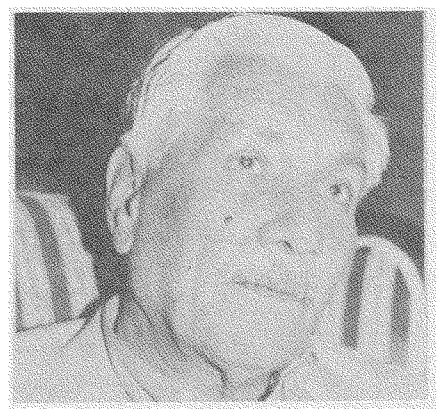

ادريس رسائل إلى أهمّ شعراء العربيّة وأدبائها وكتّابها في مختلف أقطارهم دون انحياز إلى تيّار أدبي معيَّن أو إلى لون أدبي دون آخر.

وكنتُ من ضِمْن من دعتهم **الآداب** للكتابة فيها، فلبَّيتُ الدّعوة. فإذا ما عاد القارئ الآن إلى ديواني **أباريق مهشّمة** فإنّه سيرى أنَّ أكثر من نصف قصائد هذا الديوان قد نُشر في **الآداب** وأنَّ بعض هذه القصائد قد أثار اهتماماً بالغاً وجدلاً من قِبَل القرّاء وانتقاداً على حدٍّ سواء... أذكرُ منها قصيدة «الملجأ العشرون» التي اعتبرها النقّاد «واحةً في الشّعر العربي» على حدّ تعبير الكاتب اللبناني محمّد النقّاش الذي كتبه تحت باب «قرأتُ العدد الماضي من **الآداب**»؛ كما أذكر قصيدة «يوميّات رجل مجهول» التي أثارتْ نقاشاً محتدماً أسهم فيه الكاتب الرّاحل رئيف خوري؛ وقد مُنع العدد الذي نُشِرت فيه القصيدة في العراق، فما كان من جريدة **الأهالي** التي كان يصدرها الحزب الوطني الديمقراطي برئاسة الوطني الكبير الرّاحل الأستاذ كامل الجادرجي إلاّ أنْ أعادت نشرها، فكان النّشرُ بمثابة الصّاعقة التي دهمت السلطة، وكدتُ أُعتقَل وأُحاكَم باعتبار أنَّ ما جاء في القصيدة كان تحريضاً ضدّ السلطة، ولكن تدخُّل الأستاذ الجادرجي هو الذي أنقذني من العقاب.

وهكذا نرى أنَّ **الآداب** كانت تتعرَّض في أقطار عربيّة شتّى إلى المنع والمصادرة أو قطع الصفحات التي لا تروق للرقيب. وكنّا نحاول بشتّى الطرق الحصول على الأعداد الممنوعة ونتداول قراءتها.

وقد حاول ربّان سفينة **الآداب** جاهداً أن لا يميل مع ريح المساومات وأن يقاوم الإغراءات ويحافظ على استقلال المجلّة وأن لا ينحاز إلى الشِّلَل الأدبيّة التي كانت تحاول الاستحواذ على المجلّة، بل ترك تلك الشِّلَل تحترب فيما بينها أملاً في الوصول إلى ضفاف الإبداع الأدبي.

ثمّ جاءت الحرب الأهليّة في لبنان فاستبدل بعضُ الكتّاب والقرّاء القلمَ بالبندقيّة. ولكن **الآداب** حاولت وسط الخراب والدمار والاحتراب أن تظلَّ أمينة لرسالتها وأن تواصل صدورها بين الحين والآخر لتكون شاهداً على ما جرى ويجري ولتنفض عن صفحاتها رماد الحرب وتنهض من جديد، بعد أن كبرت أسرة **الآداب** بأبنائها ومنشوراتها التي غطّت خارطة المكتبات العربيّة.

فإلى عميد أسرة **الآداب**، وإلى أبنائه، تهنئتي وتحيّاتي، وتمنّياتي بمواصلة الرسالة التي نذروا أنفسهم لها.

عمّان ١٨/ ٧/ ١٩٩٤